



ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلَّة الرَّاسخون

مجلَّة عالميَّة محكَّمة

ISSN: 2462-2508

Special Issue, February 2022

إصدار خاص - فبراير 2022



مجلة الراسخـــون

مجلة عالمية محكمة

ISSN:2462-2508

إصدار خاص فبراير 2022

أولًا: الدراسات الإسلامية

ثانياَ: الدراسات اللغوية

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

محكمو أبحاث العدد (حسب الترتيب الأبجدي):

موقف المستشرقين من التصوف

د. عبد الرحمن بن ماهر عقيل

جامعة أم القرى

amaqil@uqu.edu.sa

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، عنوان البحث (موقف المستشرقين من التصوف)، وقد قسمت بحثي لتمهيد، وفيه التعريف بمصطلحات البحث، وأربعة مباحث: المبحث الأول : موقف المستشرقين من نشأة التصوف. المبحث الثاني : عقائد التصوف وموقف المستشرقين منها. المبحث الثالث : موقف المستشرقين من غلاة المتصوفة . المبحث الرابع : جهود المستشرقين في التصوف. الخاتمة، وأبرز النتائج والتوصيات.

أبرز النتائج :

1- إن موقف المستشرقين من نشأة التصوف موقف خطير لما يريدون من خلاله إيهام المسلمين بأنه منذ بعث الرسالة لأجل أن يقر الناس بالتصوف

2- إن إشادة المستشرقين بالعقائد الصوفية ودعمها يدل دلالة واضحة على عمق العلاقة القوية بين الاستشراق والتصوف لتحقيق الغايات السيئة

أبرز التوصيات :

1- نوصي بالدراسة العميقة لاهتمام المستشرقين بالحركة الصوفية على كافة الأصعدة والمجالات

2- نقد شيوخ الحركة الصوفية يضعف من انتشار المذهب الصوفي

Research Summary

Praise be to God, and prayers and peace be upon the Messenger of God, and after, the title of the research is (The position of the Orientalists on Sufism).

The first topic: the position of orientalists on the emergence of Sufism.

The second topic: the beliefs of Sufism and the position of orientalists on them.

The third topic: the attitude of the Orientalists towards the fanatic Sufis.

The fourth topic: the efforts of orientalists in Sufism.

Conclusion, the most prominent results and recommendations

The most prominent results:

1- The position of orientalists regarding the emergence of Sufism is a dangerous position because they want to delude the Muslims that, since the message was sent, in order for people to acknowledge Sufism.

2- The orientalists’ praise and support for Sufi beliefs is a clear indication of the depth of the strong relationship between Orientalism and Sufism to achieve bad goals.

Most prominent recommendations:

1- We recommend a deep study of the orientalists’ interest in the Sufi movement at all levels and fields

2- Criticism of the sheikhs of the Sufi movement weakens the spread of the Sufi doctrine

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فإن أمة الإسلام أمة عظيمة الشأن مرفوعة الهامة عصت على أن تذل وتهان واستوقفت كبار الباحثين والمفكرين الغرب فأتوا إلى تراثها المجيد ممنهم من هو قاصد للبحث عن الحقيقة ومنهم من يريد الطعن في هذا التراث ومنهم من قاده لذلك حب البحث والاستكشاف

ومضوا فترة من الزمن منذ القدم وهم يغوصون في تراث هذه الأمة، ومن هم أيضا من اتجه صوب الفرق المنحرفة في الإسلام وأصحاب الخرافات والبدع والمحدثات بحثا منه عن أسباب نشوء هذه الفرق وإرادة من بعضهم دعم أفكار هذه الفرق كي تضاد صريح الإسلام والسنة لأن البدع هادمة للسنن وخافية لها، ولذا فإن أعداء الملة منذ فجر التاريخ دأبوا على تطويع الحركات المعادية للإسلام ودعمها بكل الوسائل حتى تقاوم مد الإسلام الصحيح الناصح البين الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولهم أسوة وقدوة في ذلك فمسجد الضرار أسس على هذا الأمر ومن هذا المنطلق قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ ﴾ [سورة التوبة:107].

قال الإمام السعدي رحمه الله: كان أناس من المنافقين من أهل قباء اتخذوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء، يريدون به المضارة والمشاقة بين المؤمنين، ويعدونه لمن يرجونه من المحاربين لله ورسوله، يكون لهم حصنا عند الاحتياج إليه، فبين تعالى خزيهم، وأظهر سرهم فقال: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ أي: مضارة للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه ﴿ وَكُفْرًا ﴾ أي: قصدهم فيه الكفر، إذا قصد غيرهم الإيمان.

﴿ وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: ليتشعبوا ويتفرقوا ويختلفوا، ﴿ وَإِرْصَادًا ﴾ أي: إعدادا ﴿ لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: إعانة للمحاربين لله ورسوله.(1)

ومشاريع الضرار يتناوب عليها منافقو الأمة مع اليهود والنصارى وأعداء اليوم هم أحفاد أعداء الأمس، وهذه الدراسة تسلط الضوء على موقف المستشرقين من التصوف، وكيف ينظرون إلى التصوف ومن أي زاوية تروق لهم، وهذا الأمر يدعو الباحث أن ينظر إلى الأمر وكيف هي نظرة المستشرقين وموقفهم إزاء الحركة الصوفية من التسمية والنشأة وأبرز العقائد لدى المتصوفة من كتب المستشرقين التي تكلمت عن التصوف، وهل الاستشراق داعم لتيار التصوف ومعجب به أم أنه ناقد له ومبين لخطئه وعواره، وهنا تكمن أهمية

---

(1) تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة .لطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م، ص351.

معرفتنا كيف ينظر المستشرق لمذهب التصوف ومن أي زاوية له، وهذا الموضوع من الأهمية بمكان أن يبحث وينظر فيه من خلال كتب المستشرقين، وهذا ما سيبحث في هذ البحث إن شاء الله، ونسأل الله الكريم المنان أن يوفقنا لمرضاته ونيل جناته إنه ولي ذلك والقادر عليه اللهم آمين.

أهمية البحث:

إن التصوف مر بأطوار مختلفة إلى أن وصل لمراحل خطيرة في عقائده المنحرفة، والنظرة الاستشراقية لعقيدة التصوف نظرة إعجاب، بنشأته وشيوخه ونتاجه العلمي، وهذا البحث يسلط الضوء على موقف المستشرقين من هذه القضية .

مشكلة البحث:

إن حركة التصوف حركة نشأت في القرون الأولى، وقد انبرى لها علماء الملة بالنقد وتبيين الحق، ودحض الشبهات، ثم إن حركة التصوف لاقت اهتماما كبيرا من لدن المستشرقين على اختلاف مآكلهم ومشاربهم واتجاهاتهم، وهدفهم من ذلك حمل الناس أن يقدموا لهم بزعمهم هذا الإسلام المفترى وأن يكون هو النموذج المحتذى

أهداف البحث:

- التعريف بالتصوف والاستشراق
- بيان موقف الاستشراق من نشأة التصوف
- بيان موقف الاستشراق من عقائد المتصوفة
- توضيح موقف المستشرقين من غلاة المتصوفة

حدود الدراسة:

تختص الدراسة ببحث التصوف من خلال النشأة والعقائد والكتب والشيوخ لهذا المذهب من خلال نظرة المستشرقين لهذه المحاور

منهج البحث:

يدور منهج البحث على استقراء ما كتبه المستشرقون حول التصوف من خلال النشأة والعقائد والشيوخ والمؤلفات،ونقد ما تم في ذلك وتبيين ما هو موقف الاستشراق من ذلك.

الدراسات السابقة:

هناك مجموعة من الأبحاث في الدراسات الاستشراقية والتصوف ، وغالب الدراسات تتعلق بالمستشرقين ومدى عنايتهم بالعرب والمسلمين، ونزر يسير يتعلق بدراسة المستشرقين والتصوف ومن ذلك موقف المستشرقين من دراسة الفرق الصوفية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة للباحثة لطيفة بنت عبدالعزيز بن عبدالله المعيوف –كلية أصول الدين/ جامعة الإمام. وهناك كثير من المقالات العلمية المنشورة، مثل: المستشرقون ونشأة التصوف وموقف المستشرقين من التصوف الإسلامي (دراسة تحليلية نقدية في كتابات المستشرقين) والمرجعية الهندية للتصوف الإسلامي في دراسات المستشرقين والمؤثرات الاجنبية في التصوف الاسلامي من منظور استشراقي

وهذا البحث لموقف المستشرقين الألمان بالتصوف ودراستهم لبعض عقائد المتصوفة

التمهيد:

التعريف بمصطلحات البحث:

المستشرقون: هذه الكلمة جمع لمستشرق وهؤلاء المستشرقون يخدمون فكرة الاستشراق والاستشراق لغة: أخذ هذا اللفظ من الشرق العربي وهي من تسميات الغرب حينما قسموا العالم لشرق وغرب يقول د / محمد السيد: مصطلح الشرق يرجع في

أصل وضعه إلى مفكري الغرب، فهم الذين قسموا العالم إلى شرق وغرب، وقسموا الشرق إلى شرق أدنى أوسط وأقصى، ويطلق لفظ الشرق عادة على المنطقة العربية وشعوب آسيا وأفريقيا، أما لفظ الشرق الأوسط فقط فيطلق عادة على المنطقة العربية فقط، وفي العصر الحاضر أطلق لفظ العالم الثالث على تلك الشعوب التي كان يطلق عليها الماضي العالم الشرقي، أو دول الشرق.(1)

الاستشراق اصطلاحا:

له عدة تعريفات

يقول الشيخ حبنكة: تعبير أطلقه غير الشرقيين على الدراسات المتعلقة بالشرقيين: (شعوبهم وتاريخهم وأديانهم ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية وبلدانهم وسائر أراضيهم وما فيها من كنوز وخيرات وحضاراتهم وكل ما يتعلق بهم).

وكان هدف الغربيين من هذا الإطلاق العام الذي يشمل كل الشرق والشرقيين، مسلمين أو غير مسلمين، أن يكون غطاءً للهدف الأساسي، الذي هو دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين لخدمة أغراض التبشير من جهة، وأغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى، ثم لإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية وتجزئتها وتفتيت وحدتها .(2)

وعليه فهدف الاستشراق الأول حرب الرسالة المحمدية بكل ما أوتوا من قوة وإن تغطوا عند العامة بغطاء البحث والاستكشاف فغالبهم في الحقيقة خدام لسياسات غربية معادية للإسلام والمسلمين تريد النيل من الإسلام وأهله وسلب الأرض والخيارات، والله غالب على أمره .

وقد اهتم جمع من المستشرقين بدراسة التصوف، ونذكر منهم مثلا : "تور آند ريه " و "إنيميل شيميل " "ونيكلسون " و" آرثر آربري " و "جولد تسيهر " و "شبرنكر " و "ماسنيون " و "آثين بلاثيوس "و" فنسنك" و" هورتن " و "جونس " وغيرهم .

والمستشرقون لهم أسباب في دراسة التصوف منها حب الاطلاع على الجديد، ومنها أيضا رغبتهم في أن يسود مذهب التصوف وتلميعه لدى عامة المسلمين، لأن مذهب ينفي كثيرا من الحقائق الإسلامية التي يخاف منها الغرب مثل الجهاد وغيره من القضايا التي لايلتفت لها التصوف البتة، بل وينكر بعضها في كثير من الأحيان، ومن أسباب دراستهم للتصوف أيضا معرفة نقاط الاجتماع بين طقوسه وبين الطقوس في كثير من الجيانات المحرفة، ويعد هذا عندهم بمثابة الطعن في الإسلام، لذا فمن أعظم أسبابهم بيان أن الإسلام بهذه الطريقة الساذجة في عبادته وشعائره وطقوسه والإسلام منها براء .

---

(1) الاستشراق والتبشيرالمؤلف: أ. د. محمد السيد الجليند .الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

(2) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها . التبشير – الاستشراق – الاستعمار ص: 102 لمؤلف : عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى : 1425هـ)
=

=
الناشر : دار القلم – دمشق .لطبعة : الثامنة ، 1420 هـ - 2000 م

ونأتي الآن للتعريف بالتصوف وكيف ينظر له

التصوف:

التصوف لغة:

للمصطلح اشتقاقات عدة:

مأخوذ من الصفاء، وقيل أنهم سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه , وإقبالهم عليه , ووقوفهم بسائرهم بين يديه، وقال قوم: إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة , الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال قوم: إنما سموا صوفية للبسهم الصوف . (1)

قال **محمد بن أبي إسحاق**: مادة التصوف سواء كانت أخلاقا أو معرفة أو سلوكا(2)

فالتصوف في حقيقته خرج من أفكار ومعتقدات مجوسية و بوذية و نصرانية و يهودية و يونانية (3)

وأما من نسبهم إلى الصفة والصوف فإنه عبّر عن ظاهر أحوالهم .(4)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وَقِيلَ: – وَهُوَ الْمَعْرُوفُ – إنَّهُ نِسْبَةٌ إلَى لُبْسِ الصُّوفِ ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا ظَهَرَتْ الصُّوفِيَّةُ مِنْ الْبَصْرَةِ وَأَوَّلُ مَنْ بَنَى دويرة الصُّوفِيَّةِ بَعْضُ أَصْحَابِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ وَعَبْدُ الْوَاحِدِ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ وَكَانَ فِي الْبَصْرَةِ مِنْ الْمُبَالَغَةِ فِي الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخَوْفِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي سَائِرِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَلِهَذَا كَانَ يُقَالُ: فِقْهٌ كُوفِيٌّ وَعِبَادَةٌ بَصْرِيَّةٌ . وَقَدْ رَوَى أَبُو الشَّيْخِ الأصبهاني بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سيرين أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ قَوْمًا يُفَضِّلُونَ لِبَاسَ الصُّوفِ فَقَالَ: إنَّ قَوْمًا يَتَخَيَّرُونَ الصُّوفَ يَقُولُونَ: إنَّهُمْ مُتَشَبِّهُونَ بِالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَهَدْيُ نَبِيِّنَا أَحَبُّ إلَيْنَا وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ الْقُطْنَ وَغَيْرَهُ أَوْ كَلَامًا نَحْوًا مِنْ هَذَا . وَلِهَذَا غَالِبُ مَا يُحْكَى مِنْ الْمُبَالَغَةِ فِي هَذَا الْبَابِ إنَّمَا هُوَ عَنْ عُبَّادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِثْلُ حِكَايَةِ مَنْ مَاتَ أَوْ غُشِيَ عَلَيْهِ فِي سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَنَحْوِهِ (5)

وهنا ندرك تنوع لفظ التصوف وأنه يشتمل على معان متعددة مختلفة متشعبة الآراء، بل حتى المتصوفة أنفسهم حاروا في وصف التصوف

اصطلاحا:

لقد كثرت تعريفات التصوف اصطلاحا بشكل مستغرب مما يدل على فساد في الأمر والطريقة فقد أوصلها بعضهم إلى ألف تعريف وبعضهم تخفف إلى المائة لكننا سنكتفي بالمشهور عند أهل التصوف المشهورين به، من نقل كتاب التصوف المنشأ والمصدر .

---

(1) انظر التصوف المنشأ والمصدر إحسان إلهي ظهير إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: 1407هـ) الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان .الطبعة: الأولى، 1406 هـ – 1986 م .ص 20ب

(2) التعرف لمذهب التصوف لأبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي البخاري 380 هـ ص 3 الناشر : دار الكتب العربية بيروت

(3)http://www.saaid.net/Doat/saed/35.htm

(4) التصوف المنشأ والمصدر ص 20 .

(5) رسالة في الصوفية والفقراء .احمد بن تيمية الناشر مجمع الملك فهد .الجزء الحادي عشر .سنة النشر: 1416هـ/1995م ص 1

قال إحسان إلهي ظهير: أن الجنيد سئل عن التصوف , فقال: (أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة).

وقال سمنون في جواب سائل سأله: أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء.

وقيل لأبي الحسين أحمد بن محمد النوري: من الصوفي؟ , فقال: من سمع السماع وآثر بالأسباب

وينقل القشيري عن الجنيد أنه قال: (التصوف عقدة لا صلح فيها).وعنه أنه قال: التصوف هو العصمة عن رؤية الكون.(1)

ولسنا في هذا البحث في مكان لنقد التصوف وطرائقهم فهذا يوجد في كتب الردود لأهل العلم رحمهم الله في هذا الباب، وهي كثيرة منتشرة ولله الحمد.(2)

إنما شأننا في هذا البحث الوقوف على ما كتبه المستشرقون عن التصوف وموقفهم منه وماهو حجم الدراسات الغربية لهذه القضية، ولم اعتنى بها الغربيون في مقالاتهم وحواراتهم، نريد أن نقف على بعض هذه التساؤلات ونسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا اللهم آمين .

المبحث الأول: موقف المستشرقين من نشأة التصوف:

تعد نشأة الحركات من أولويات البحث عنها لما في النشأة وظروفها من معرفة لتكوينها الفكري، وبهذا يسهل معرفة مواردها وكيف بدأت في التشكل حسب الظروف والعوامل المحيطة بها، التصوف في اللغة يؤدي لمعنى لطيف ومحبب للنفس وهو الخلوص من عالم الدنيا وما فيه من الإشغال بملاذها وشهواتها إلى جعل القصد والغاية للآخرة وها الأمر، وهو الزهد في الدنيا في أصله مبدأ قرآني وحث عليه الحبيب صلى الله عليه وسلم وهو ترك الانبهار بهذه الدنيا وزخرفها وشهواتها قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الحديد:20].

---

(1) انظر التصوف المنشأ والمصدر ص 37

(2) انظر : الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه من آداب الطريق (ط. مجمع الفقه) (ط. 2) المؤلف: أحمد تيمية المحقق: علي بن محمد العمران- سعود بن عبد العزيز العريفي – جديع بن محمد الجديع و الإستغاثة في الرد على البكري (ت: السهيلي) (ط. المنهاج)

المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين

المحقق: عبد الله بن دجين السهيلي .

الرد على الإخنائي واستحباب زيارة خير البرية (ت: آل زهوي) .المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية. المحقق: الداني بن منير آل زهوي

والمقالات السنية في تبرئة شيخ الإسلام ابن تيمية ورد مفتريات الفرقة الحبشية . المؤلف: عبد الرحمن محمد سعيد دمشقية

=

=

الجواب الباهر في زوار المقابر المؤلف: أحمد بن تيمية .المحقق: إبراهيم بن خالد بن عيسى المخلف

قال إمام المفسرين الطبري: قول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس إن متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم، ما هي إلا لعب ولهو تتفكَّهون به، وزينة تتزيَّنون بها، وتفاخر بينكم، يفخر بعضكم على بعض بما أولى فيها من رياشها.(1)

وهناك كثير من كتب السلف عن الزهد والتقلل من هذه الدنيا مثل الزهد للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيرها في هذا الباب كثير، إلا أن التصوف المذموم ماكان مخالفا للهدي وحمل معه البدع والمحدثات والخرافات والجهالات التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم وهي المقصودة ببحثنا هذا الفرق الصوفية المتعددة المشارب والاتجاهات، ودين الإسلام الصحيح بريئ كل البراءة من هذه الشطحات وبدعهم المحدثة، وهذا المبحث يركز على نظرة المستشرقين لنشأة هذا التيار، ومتى بدأ وكيف تشكل من خلال مقولاتهم في كتبهم .

يقول المستشرق "تور آند ريه ": كان ثمة اعتقاد أن نبتة ريانة مثل التصوف لايمكن ظان تنمو بسهولة في أرض الإسلام لذا أشار بعض الباحثين إلى الفرس الذين كان لديهم على ما يقال، ميل شديد إلى التدين الصوفي يسري في عروقهم، وأشار بعض آخر إلى الهند وما ولدته من آثار، وعلى وجه الخصوص إلى البوذية وديانة الفيدا .(2)

قلت إن كثيرا من وسائل التصوف لها علاقة بكثير من طقوس الديانات الباطلة المنحرفة فهي جمعت أشكالا من بعض الديانات، من الخلوص الكامل ونبذ العيش والجلوس في أماكن غريبة ولبس بعض الثياب الغريبة ومحاولة تجويع النفس وعدم الاهتمام بالشكل وادعاء الوصال الكامل مع الإله والتكليم دون ترجمان والناظر الفاحص لكثير من طقوس البوذية وبعض الديانات الفارسية يعلم ذلك جيدا

ولو نظرنا بعين فاحصة للرهبان والقساوسة ومسارات الرهبنة التي هم فيها لأدركنا حقيقة التشابه مع بعض الأفكار المرفوضة في دين الإسلام

والرهبنة هذه التي انتقدت على الرهبان وجاء القران بنقدها وجدت في بعض المسلمين جهلا منهم، أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن . المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر .الناشر: مؤسسة الرسالة .الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م 23 193ص

(2) التصوف الإسلامي لتور آند ريه ترجمة د. عدنان عباس علي الناشر : منشورات الجمل الطبعة الثانية ص 21

أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1]

فهذا الحديث واضح الدلالة على أن الإسلام دين يرفض الرهبانية ولا يدعو لترك الرغبة عن الحياة بل الإنسان يتوسط في هذا الأمر ولا ينسى نصيبه من الدنيا .

يقول إحسان ظهير في نشأة التصوف وبيان ذلك:

إن الناس اختلفوا في بدء ظهور هذه الكلمة واستعمالها كاختلافهم في أصله وتعريفه , فذكر ابن تيمية وسبقه ابن الجوزي وابن خلدون في هذا أن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة الأولى , وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك , وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل , وأبي سليمان الداراني وغيرهما , وقد روى عن سفيان الثوري أنه تكلم به , وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري .[2]

ويقول ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس عن التطور الصوفي: كانت النسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأيمان والإسلام. فيقال: مسلم ومؤمن , ثم حدث اسم زاهد وعابد , ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد , فتخلوا عن الدنيا , وانقطعوا إلى العبادة , وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين. ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوسواس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة).[3][4]

وبعد هذا النقل يتضح للقارئ الكريم نشأة التصوف ومتى بدأت وأنها بدعة محدثة ليست من أصل الإسلام وأهله وإنما فيها من التجني على الإسلام الشيئ العظيم .

والتصوف نشأته أبتدأت في حب الزهد والخلو من الدنيا ثم ما لبثت أن لبست ثوبا آخر تماما

وهناك تمازج كبير بين الرهبنة في المسيحية وبين التصوف

يقول "تور آند ريه ": "إنني أرى بأن الدارسين كانوا على حق عندما اتفقوا على أن قواعد التعبد الصوفية يمكن أن تعتبر نوعا ما عملية نقل لقواعد التعبد التقشفي ديانة الرهبان"[5]

ورأي المستشرق رأي يحتاج إلى تمعن، فالحقيقة أن التصوف فيه ارتباط شكلي كبير في كثير من الطقوس المخالفة للإسلام والموافقة تارة للرهبانية وتارة للفلسفات اليونانية والحضارات الإغريقية البائدة إن التصوف يأخذ تشكلات كبرى من تلك الأساطير والخرافات القديمة.

(1) صحيح البخاري الجامع الصحيح
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ) الناشر: دار الشعب – القاهرة الطبعة: الأولى ، 1407 – 1987
7/ص2

(2) التصوف النشأة والمصدر ص 40

(3) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص 156 إلى 160 ط دار القلم بيروت لبنان.

(4) التصوف المنشأ والمصدر ص 40 –50 بتصرف

(5) التصوف لتور آند ريه ص 22

تقول "أنميل شيميل": تاريخ التصوف أشبه بخارطة عليها بعض مقامات ذلك الطريق، التي كانت ترشد إلى تجديد تفسير الشهادة تفسيرا أعمق دقة، وهي بعض الإشكال التي كانت واسطة في التعبير عن تلك الحقيقة الواحدة سواء عن طريق المعرفة أو طريق الحب أو عن طريق اعتياد الزهد.[1]

وهذا الأمر فيه وجه من الصحة أن نشأة التصوف فيها عدة مسارات وطرق فهي ليست على نسق واحد وإنما مسارات ومقامات مختلفة، وهذا يدل على ضلال الأمر وبعده عن الإسلام ولصوقه بالفلسفات القديمة والحديثة فهو يتطور مع تطور الفلسفات ويدخل في عمقها مستلهما من ذلك تأثر الفلسفات بالجوانب الروحية المزعومة والتعلق بالقوة الظاهرة في الموجودات المشاهدة والمحسوسة

يقول إحسان رحمه الله في شأن التصوف ونشأته:

قال قوم: لا علاقه له بالإسلام إطلاقا , قريبة ولا بعيدة في اليوم الذي نشأ فيه , ولابعد ماتطور , وهو أجنبي عنه كاسمه , وهو رأي أكثر السلفيين, والأكثرية الساحقه من المستشرقين , والكثير من الباحثين والمفكرين المتحررين من الجمود وعصبية التقليد , من المتأخرين.

وقالت طائفة: إنه اسم للزهد المتطور بعد القرون المشهود لها بالخير ودخلت أفكار أجنبية والفلسفات غير الإسلامية وذهب إلى هذا الرأي ابن تيمية والشوكاني من السلفيين وغيرهم من بعض أعلام أهل السنة , حتى الصوفية أنفسهم وبعض المستشرقين.

وقال الآخرون: إن التصوف وليد الأفكار المختلطة من الإسلام واليهودية والمسيحية ومن المانوية والمجوسية والمزدكية , وكذلك الهندوكية والبوذية , وقبل كل ذلك من الفلسفة اليونانية وآراء الأفلاطونية الحديثية , وتمسك بهذا الرأي بعض الكتّاب في الصوفية من المسلمين وغير المسلمين.[2]

قلت لايمنع أن يجمع التصوف كثيرا من هذه المسارات والآراء فالظن أنه خلط ومزج لكثير من الإعتقادات الباطلة والمنحرفة والناظر لطقوس الوثنيون وكيف هي عباداتهم يدرك بجلاء مدى وجيه رأي من يرى الارتباط القوي في هذا الأمر .

المبحث الثاني: عقائد التصوف وموقف المستشرقين منها

إن التصوف مر بمراحل عدة بدءا من الخلو والزهد وصولا إلى الشطحات التي لا يقرها أي عقل وفي هذا المبحث بيان لنظرة المستشرقين لبعض عقائد المتصوفة،و كيف لامست الفلسفات اليونانية والمذاهب الباطلة والديانات المخترعة مثل بوذا وغيرها في كثير من طقوسهم .

وهنا نقطة مهمة وهي، أن كثيرا من المستشرقين كما قلنا آنفا هدفه من دراسة أحوال الشرق الطعن في رسالة الإسلام الصافية ورميها بالنقائص والتهم، ويجد كثير من المستشرقين مادة وفيرة عند المتصوفة في نبذ الإسلام وتبيينه للجهلة في العالم أنه دين بهذه الكيفية المخالفة للعقل والحياة ودين الإسلام بريئ

---

(1) الأبعاد الصوفية في الإسلام لأنا ماري شييمل الناشر منشورات الجمل ترجمة محمد إسماعيل السيد و رضا قطب الطبعة الأولى 2006

(2) التصوف المنشأ والمصدر بتصرف ص 49

تمام البراءة من خرافات وأساطير المتصوفة وما هم عليه من الضلال المبين ودأب علماء الإسلام منذ فجر التاريخ على الدفاع عن حياض الدين عبر مؤلفاتهم الكثيرة وردودهم على أهل الباطل والزيغ فجزاهم الله عنا خير الجزاء وأوفاه .

من عقائد المتصوفة التي لاقت اهتماما عند المستشرقين ،الرياضات الروحية وما يتفرع منها:

يقول "تور آند ريه ": هذه الرياضات والطرق هي التي تميزت بها الديانة الصوفية [1]

حسن من الكاتب أن أسماها ديانة صوفية، فهي بالفعل تخرج عن أمر الإسلام وهي من البدع المحدثة ولاتمت إليه بصلة، لكنا نلحظ من خلال كلام بعض المستشرقين الثناء على بعض الحالات الصوفية وبعض الطقوس فهنا يقول إنها تميزت بها، والرياضات الروحية هذه ليست ميزة البتة، بل هي دخول في عالم الوسواس والشياطين .

وهذه الرياضات الروحية هي عقيدة أساس عن المتصوفة وكما في زعمهم لا يصلون للوجد والعشق الإلهي إلا بها في سبيل وصولهم للمراد من التعلق بالعالم الروحي والخلوص من المشهد الواقعي

ويقول أيضا: إن الصوفية تتوافر على معرفة ميتافيزيقية ينالها المرء من خلال إضاءة إلهية مباشرة[2]

وهذا من الجهل الواضح فأي رياضة تدل الإنسان على ما وراء الطبيعة وأن تضيئ له المعرفة الإلهية ويكشف له الحجاب الإلهي، فهو لم يكشف للنبي صلى الله عليه وسلم بنص القرآن قال تعالى: ﴿ **قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨** ﴾ [سورة الأعراف:188]. فكيف بغيره سبحانك ربنا !!

ويقول أيضا: ومن خصائص كل صوفية حقة المعايشات المتغيرة سلسلة أن تكون طريقا يمتد إلى الأعلى[3]

ويقصد بذلك دروب الخلوة والرياضات الروحية التي يسير فيها مبتدأ حتي يرتقي إلى معرفة عالم الملكوت، وهو بهذا الوصف يعلو على حالة الأنبياء، إن التصوف بهذا الشعور الغالي والفلسفات المتعددة لهو بمثابة الخروج الحقيقي من عالم الواقع إلى عالم غريب مليئ بالوساوس والشكوك والأساطير المبنية على الوهم وعدم الحقيقة

ويقول: ونجد عند سهل التستري مراتب أكثر تفصيلا ينبغي بالعبد أن يمر بها، فهو يعدد الاستجابة والإنابة والتوبة يستغفر الله و التنقل إلى الانفراد والثبات والبيان والفكر والمعرفة والمناجاة والمصافاة والموالاة، ثم ينظر الله إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش[4]

وهذا فساد واضح في التصوف حيث يخيل لمن وصل في ظنهم وزعمهم لهذه المراتب الوهمية أنه مع حملة العرش وفي منزلتهم، وهذا كله من التلبيس على العامة والأتباع، لكن الجدير بالأمر هنا أن

(1) التصوف الإسلامي لتر آند ريه ص142

(2) المصدر نفسه ص 150

(3) المصدر نفسه ص 156

(4) المصدر نفسه ص 159

المستشرقين لم يأخذوا كتب المتصوفة فحسب، بل راحوا يدرسون عباد المتصوفة وما يحصل لهم، وهذا من دقتهم في البحث، والمراتب التي يذكرونها في التصوف باطلة طبعا، فالحجة عندنا أهل الإسلام كيف تقرب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه عز وجل، أما أن يخترع اختراعات لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة فهذا مرفوض من أصله، ومن عوار مذهبهم أنه يصل لكي يكون بمقام حملة العرش وهذا النقل كاف لبيان الضلال

ويقول أيضا: ومن الرياضات الروحية التي تميزت بها الصوفية على وجه الخصوص سعيهم لاستجلاب الفناء التعبدي عن طريق الغناء والمصحوب بالموسيقى في بعض الأحيان أو عن طريق الإنشاد والترتيل[1].

أصل عبادة أهل الإسلام التوقيف فلا يجوز البتة الاختراع فيها ولا الزيادة أو النقصان وهذا مقرر في القرآن وفي سنة العدنان عليه الصلاة والسلام

ويلحظ من كلام المستشرق الإعجاب والفرح بهذا الأمر ومحبته والثناء عليه، وطريقة المتصوفة في استجلاب الفناء الروحي، وهو الخلوص الدنيوي إلى الأمر الأخروي عن طريق الغناء والتراتيل، هي مثلها مثل ماوجد في كثير من الديانات المحرفة، والمستشرقون يحاولون أن يوجدوا قاسما مشتركا بين الإسلام وغيره من الديانات المحرفة، وقد يجدون في التصوف بغية كبيرة لهم!

(1) التصوف الإسلامي ص 164

ولكن التصوف هذا لايمت إلى عقيدة الإسلام بأي صلة، فأي قربة إلى الله بغناء وترانيم كهذه ينكرها العقل والحس والشرع .

ويقول: وإلى هذا كله فقد كانت مادة الغناء الروحاني، وفي أغلبيتها على ما يظهر قصائد حب دنيوي، تخيل بها القوم مواضيع روحانية شأنهم في ذلك شأن مافعله الصوفيون النصارى مع قصائد العرس المذكورة في نشيد من الأناشيد [2]

وهنا ربط خطير بين التصوف والنصرانية، وقلت آنفا أن هذا الأسلوب مستخدم عند بعض المستشرقين، وهو بيان التشابه بين التصوف وغيره من الديانات الأخرى دليل على هشاشة هذا المذهب الباطل وبطلانه.حيث يصور الغناء بمنزلة العلاقة الروحية القوية مع المشاهد الإلهية بزعمهم وهذا إغراق في الضلال والعياذ بالله

ويقول أيضا: ولذا، ولكي يعرف الصوفي ما ينتظره في الجنة، فلابأس عليه أن يتذوق نزرا يسيرا من هذه اللذة الفياضة الغامرة في الحياة الدنيا عن طريق سماعه للغناء الروحاني، وإلى هذا فقد استخدم القوم الرقص وسيلة لاستجلاب الوجد، تماما كما كان يفعل بعض الصوفيين النصارى هنا وهناك في المراحل الأولى .[3]

اللذة عندنا أهل الإسلام في طاعة الله عز وجل وهي المسماة بحلاوة الإيمان وطعم الإيمان،كما قال صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " **ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ**

(2) المرجع نفسه ص 165

(3) المرجع نفسه ص 169

فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ (1)"

وعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**.(2)

فهذه الأحاديث واضحة البيان في أن الطريق الوحيد لنيل اللذة والحلاوة وطعم الإيمان، في الأمور التي حددت من خلال الأحاديث، لا كما يزعم المتصوفة ويفرح بذلك المستشرقون، وإني لأعجب أشد العجب كيف يتصور عقل أن تكون القربة إلى الله من خلال الرقص والتمايل!!

ولخص كلامه بقوله: من هذا كله يتضح أن التصوف قد اقترب من تصورات الغنوصية الشرقية، إلا أنه لم يجتز الحدود، وهذا ينطبق حتى على أبي يزيد البسطامي، لقد وصف هو أيضا رؤياه للعوالم السماوية والسفلية فعن يحيى بن معاذ أنه رأى أبا يزيد في حالة الفناء الوهمي ابتداء من صلاة العشاء حتى صلاة الفجر .(3)

أن يصف إنسان أنه رأى العوالم السماوية في جلسة فناء، كما سماها "وهمي " هي بالضبط صلات مع الشياطين فيدخل عالما يظن أنه عالم الملكوت وهو عالم الشياطين والوسواس، وهذا الاستنكار من المستشرقين لشطحات هؤلاء المتصوفة و ما اخترعوه وابتدعوه في الإسلام،والإسلام منه بريئ، والأفكار السرية والباطنية لها علاقة كبرى بالتصوف مثلها مثل التصورات الشرقية في النظر للعبادة والإله وتجسده مثل وحدة الوجود وغيرها، وهذا يدل كما استنتج الباحث الصلة الوثيقة بأفكار بعض الديانات المنحرفة سواء الشرقية أم المسيحية ومدى صلة القرابة بينهما .

ومن عقائدهم، الكشف والإلهام:

وهذا واضح بين في عقائدهم، بل لديهم طرق لتحصيل هذه الغاية ويسمونها برياضات النفوس حتى تصل لهذا المستوى فيكشف لها عن المحجوب!! والله المستعان

فهذا الأمر معروف عندهم ولهم فيه أمد كبير ولهم قصص في هذا كيف يحصل الإنسان للإنكشاف لعالم الغيب والملكوت، وكتاب قوت القلوب مثل المنهج الذي يسير عليه الإنسان في صيغ أوراد يقولها ويسير عليها .

تقول إنيمل شيميل في كتابها الأبعاد الصوفية: وقد اعتبر الأولياء المسلمون الجوع هو افضل الطرق للوصول إلى الروحانية، متساويين في ذلك مع الرهبان من النصارى الذين كانوا لايقتاتون إلا على خبز العشاء، وكان هذا الشرط الأساسي لحدوث الكشف هو عدم وجود طعام دنيوي في جوف الصوفي (4)

---

(1) صحيح البخاري 1 /12

(2) لمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) . لمحقق: محمد فؤاد عبد الباقي .الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت 62/1

(3) المرجع نفسه ص 174

(4) الأبعاد الصوفية لإنيمل شيميل ص 133

قلت، من قال أن المسلمين الأوائل قالوا بذلك، هذه فرية قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة الأعراف:32].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة المؤمنون:51].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [سورة الفرقان:7].

وهذا دأب المستشرقين في اتهام الإسلام ورميه بالشبه بناء على مذهب باطل منحرف، ومن خلال الملاحظة في كلام المستشرقين، تبين مدى حبهم ومحاولتهم الدؤوبة لدمج التعاليم الإسلامية بالمسيحية، وكأنه لافرق بينهما وكأن هناك قدرا كبيرا من التوافق والتطابق والتقارب.

وتقول أيضا: يقول ابن الخفيف فإن غاية المريد الأساسية هي مجاهدة شهوات النفس ومطامعها، وليس هناك شيئ أخطر على المريد من عدم مراقبة نفسه.

كان جهاد النفس موضوعا محببا إلى الصوفية، ولم يملوا أبدا من تحذير تلامذتهم من مكائد النفس وفتنتها التي لاتكمن في الشهوات الجسدية فقط بل تتخفى أيضا في ثياب الرياء والورع المزيف (1)

قلت، إن مجاهدة النفس على هواها وما تشتهي من الباطل، أمر مطلوب شرعا، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة النازعات:40].

والنفس من دواعيها أنها ميالة للسوء والهوى قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة يوسف:53].

وجاء القرآن بالتأكيد على خطورة الميل لهوى النفس وتركها لما تشتهي قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الجاثية:23].

لكن مجاهدة النفس عند المتصوفة ليست بالأمر الشرعي في شيئ، بل هي مخالفة للهدي النبوي الذي أمرنا باتباعه والتقيد به، وكلام المستشرقة فيه مغالطات، بل إن كبراء المتصوفة يتحثون عن كراماتهم –الباطلة – وأنهم وصلوا مع الله، وكشف لهم الحجاب وأنهم يصومون كذا ويفعلون كذا –في مذهبهم الباطل — دون أن يكون هناك إخفاء للعمل ومحاولة للورع وغيره .

(1) المصدر نفسه ص130

وتقول أيضا: تم تنظيم أنواع الكشف المختلفة التي قد يعطاها الصوفي تبعا لمستويات الوعي المتباينة كشف كوني وكشف إلهي وكشف عقلي، الكوني نتيجة الأعمال الصالحة وتطهير النفس الدنيئة وهو يتجلى في الرؤى والكهانة

والكشف الإلهي هو ثمرة العبادة الدائمة والتطهير الدائم للقلب وينتج عنه معرفة عالم الأرواح والمعرفة القلبية معرفة يستطيع بها الصوفي أن يرى الغيب وأن يقرأ مستور الأفكار .

والكشف العقلي هو أصلا أحد أنواع المعرفة الحيثة ويمكن بلوغه بإصلاح القدرات الأخلاقية وهو قد يصل إليه كذلك الفلاسفة

الكشف الإيماني وهو ثمرة الإيمان الكامل بعد أن يكون المرء وصل إلى كمال النبوة، عندها يحظى الإنسان بالكلام الإلهي بلا واسطة، وهو قد يتكلم مع الملائكة ويلتقي أرواح الأنبياء ويرى ليلة القدر ويرى بركات شهر رمضان .[1]

قلت، هذا الكلام يرد بنفسه على نفسه، لأن المسلم الواعي الذي يحكم عقله يأبى مثل هذه الخرافات والأساطير، فكيف يتم هذا الكشف وهو ماتم لكبار الصحابة من شهد لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية والسبق في الإسلام، وأما أن يصل بالصوفي أن يقرأ مستور الأفكار فهذا صحيح بسبب معاونة الجن والشياطين لهم وهذا مقرر معروف وهذا الكشف مثله مثل ما حصل مع كبار الفلاسفة حينما غابوا في الكهوف والغابات حتى وصلوا لمرحلة الجنون وصارت تأتيهم الخواطر ويظنون أنها بدء صلة بعالم الغيب والملكوت، والمستشرقين من دأبهم أن يقاربوا بين الإسلام والفلسفات الشرقية وأن يوجدوا صلة وحبلا بينهم، وأما ان يصل الإنسان حينما حظى بالكلام الإلهي وهو من البشر فلم يحظ بذلك إلا موسى بالكلام المباشر بلا واسطة، والملاحظ من المستشرقة مدى الإعجاب بما للقوم وما تدعي أنهم وصلوا إليه من مشاهداتهم للأنبياء ولقاء أرواحهم، في سخرية عقلية لا تقبل البتة.

ومن عقائدهم الباطلة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود:

تقول شيميل: والاعتقاد بأن الله يتجلى في كل شيئ كان له على بعض الصوفية أعراض سيئة غريبة فمنهم من كانت تأتيه حالات الوجد عند سماع صرير الرياح أو صوصوة العصافير، بل ومنهم من إذا سمع ثغاء الغنم أجاب لبيك!! ومن كان يركض وراء البعير يرى فيه التجلي الإلهي أو يمسك الحية حيث لاوجود لشيئ سوى الله، غير أنه في تلك الحالة الأخيرة قد نصح الشيخ مريده أن لايفعلها حيث إن الحية تجلي الله من وراء حجاب الغضب والمريد مازال أضعف من أن يقترب من ذلك التجلي .

والشعور بأن الله في كل مكان وأنه يكمن في كل شيئ قد عبر عنه الجامي في كثير من أشعاره تعبيرا جميلا، ملخصا في ذلك شعور صوفية عصره حيث قال:

ندعوك خمرا، ندعوك كأسا

نسميك حبا، نسميك فخا

---

(1) المصدر نفسه ص 220

ما في ألواح العالمين غير اسمك

فأي اسم ندعوك به .[1]

قلت، لاينقضي العجب بإعجاب المستشرقين بأشعارهم الكفرية وكلامهم المخالف لبدهيات العقل، وصار مثار استهزاء لديهم في تجسد الإله في الخمر والعصا والحية، ودين الإسلام يترفع عن هذه الدناءة وهذا الاستخفاف الكبير بالعقول، بل القرآن يحث على استعمال العقل والتفكر والتدبر والتأمل، أقول إن الصوفية حجرت على مريديها امر العقل واستعماله، كما حجرت النصرانية على أتباعها معرفة أسرار الكنيسة وصكوك الغفران وبيعها والطقوس الغريبة التي يأباها العقل، بل اتفقوا على أنه لا يجوز الاستشكال على الشيخ في الشيئ الغريب الذي يفعله المريد وهو لا يدري لم يفعله .

سبحانك سبحانك سبحانك، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا....

وتقول أيضا: وقال السنائي في صدر حديقته:

الكفر والإيمان كلاهما يسلكان طريقك

ويقولان هو وحده لاشريك له .[2]

قلت، وهنا يتبين أنه لافرق عندهم حال الوجد والحلول الكامل بين التمايز بين الأشياء، في ضرب للمعقول والمحسوس وقتل له في مهده، نعوذ بالله من الضلال المبين ونسأله الثبات على الحق حتى نلقاه .

وبعد هذا، يتبين للقارئ كيف هو حال عقيدة المتصوفة في الله وما ينطوي عليه الأمر في ظنهم بتجليات الإله لهم وما يحصل من وجدهم بذلك وكلها بدع محدثة لم تعرف لا في كتاب ولاسنة بل هي مثار للاستهزاء من لدن أعداء الملة من المستشرقين وأذنابهم تارة، ومثار حب وفرح بها تارة أخرى، في محاولة يائسة منهم لإلصاق هذا العبث بالإسلام الصحيح النقي الواضح، وتبيينه للعالم بهذا الاستخفاف والعبثية والتخلف، حتي يلمعوا مذاهبهم الباطلة بهذه السوءات، **نسأل الله أن يتم نوره وأن يظهر دينه على الدين كله ولو كره الكافرون** .

المبحث الرابع: جهود المستشرقين في التصوف:

خدم المستشرقون التصوف خدمة كبيرة من خلال تحقيق بعض الكتب والمخطوطات وترجموها للغات مختلفة، وفي هذا المبحث سنلط الضوء على شيئ من جهودهم في موضوع التصوف، وأبرز من كتب في هذا الموضوع

المدرسة الإنجليزية:

نيكلسون: ولد بريطانيا عام 1868م ودرس في كامبردج ودرس العربية والفارسية وجده كان من علماء العربية يقول نيكلسون (من المعروف جيدا أن مذاهب الصوفية المسلمين وتأملاتهم أثرت في الإسلام تأثيرا قويا . وإلى حد ما، فإنها توفر أرضا مشتركة يمكن أن يلتقي فيها أناس من ديانات مختلفة مع بقائهم مخلصين للديانة التي يؤمن بها كل واحد منهم، يلتقون بروح التسامح والتفاهم المتبادل، وعن هذا الطريق يتعلمون أن يعرف بعضهم بعضا ويحبه، فإن كان عملي قد أعان، على أي نحو، في هذا التفاهم، لن يكون قد أنجز عبثا .[3]

(1) الأبعاد الصوفية لشيميل ص320

(2) المرجع نفسه ص 321

(3) المستشرقون والتصوف الإسلامي خالد محمد عبده مركز المحروسة الطبعة الأولى 2016م

قلت، نيكلسون من المستشرقين الذين كان لهم باع في كتابات التصوف ويعد مرجعا لغيره في هذا الباب، وكلامه في هذا الأمر يدل على خطورة أهداف المستشرقين بالنسبة لدراستهم للتصوف، من أهدافهم أن يتم توافق كبير بينهم وبين الديانات المختلفة،وهذا الأمر يخالف صريح الموالاة والمعاداة للكافرين، وهذا هدف من أهدافه هو وغيره، كفانا الله شرهم ورد كيدهم في نحرهم .

أعمال نيكلسون في التصوف:

عمل نيكلسون في عدة مجالات في باب التصوف:

1- نشره لكتاب المثنوي المعنوي لجلال الرومي ترجمه وعلق عليه في ثمانية مجلدات

2- وترجم نيكلسون كشف المحجوب للهجويري ونشره في لندن

3- أصدر ترجمة لكتاب ترجمان الأشواق لابن عربي في لندن

4- أصدر دراسة عن صوفية الإسلام

5- حقق كتاب اللمع للطوسي

6- أصدر كتاب في المطابع الهندية دراسات في التصوف الإسلامي[1]

يعجب الإنسان على مدى تفاني هؤلاء في ضلالهم المبين ومدى إنتاجهم في هذا الباب وغيره، وللمستشرقين تفان واضح في بث السموم والشبهات على المسلمين من خلال مطاعنهم في الشريعة الغراء

المدرسة الألمانية:

المستشرق فريتز ماير:

هو مستشرق سويسري، وترجمت أغلب أعمال ماير للفارسية ومنحته جامعة طهران الدكتوراه الفخرية.

مؤلفات ماير عن التصوف:

1- أطروحة الدكتوراه، عن الشيخ أبي إسحاق الكازروني

2- حقق فوائح الجمال وفواتح الجلال للشيخ نجم الدين كبرى

3- حقق أيضا رسالة الشيخ شرف الدين البلخي إلى مجد الدين البغدادي،وحقق رسالة ترتيب السلوك لأبي القاسم القشيري

4- تناول ماير في عمله سيرة حياة والد الرومي

5- تناول بالدراسة الشاعر الصوفي أبو سعيد بن أبي الخير.[2]

قلت، لاحظت في أكثر من عمل للمستشرقين الحرص الشديد على ترجمة الأعمال للفارسية، وهذا يؤكد عمق الصلة بين هذه الأطراف وخطورة الأمر على أهل الإسلام

المستشرق هلموت ريتر:

ولد ريتر في عائلة عرفت بالعلم والعمل في حقل اللاهوت درس في جامعة هالة، عمل في الجندية ومترجما في استنبول، ثم انتقل للعراق وفلسطين عمل مديرا لمعهد الآثار في استنبول

---

(1) المصدر نفسه 22-24 بتصرف

(2) المصدر نفسه ص 39

مؤلفات ريتر وتحققاته:

1- كتب عدة مقالات عن المتصوفة كالحسن البصري وأبي حامد الغزالي وجلال الدين الرومي في مجلة الإسلام الصادرة بالألمانية

2- ترجم وحقق كتاب الغزالي كيمياء السعادة

3- أعد دراسة عن شعر نظامي بعنوان اللغة التصويرية عند الشاعر نظامي

4- حقق كتاب للصوفي الشهير الحارث المحاسبي كتاب من أناب إلى الله تعالى

5- قدم دراسات وهو في استنبول عن الرسائل العربية والفارسية في العشق والعرفان والتصوف وكتب عن الهروي وفريد الدين والرومي

6- دراسته المعنونة السهرورديون الأربعة الذي قدم فيا كبار الصوفية

7- بداية فرقة الحروفية دراسات في تاريخ التقوى الإسلامية

8- حقق ونشر كتاب إلهي نامه لفريد العطار واسماه بحر النفوس الإنسان والعالم والله في حكايات فريد العطار

9- غاية الحكيم ترجمه للألمانية

10- حقق ونشر كتاب مشاق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب لأبي زيد القيرواني(1)

قلت، هذه المؤلفات كلها حمله على تأليفها عدة دوافع وقد يعجز المسلم عن تقديم أي خير بحجج واهية، وهؤلاء يبذلون في حرب الإسلام وعداوته الغالب والنفيس .

المستشرق جورج ياكوب:

ولد ياكوب في مدينة كينكز بيرغ، بدأ ككثير من معاصريه بدراسة علم اللهوت والاستشراق، كان تمتع برؤية نادرة على رؤية العلاقات التاريخية، ويمكن أن نلمس مدى نفوذه وأثره العلمي في مؤلفات كثيرين من تلامذته .

مؤلفات ياكوب في دراسة الشرق:

1- من أعمال ياكوب الطليعية في مجال الدراسات الصوفية الألمانية دراسته التي خصصها للطريقة البكاتشية التركية، وبهذا العمل افتتح ياكوب دراسة التصوف الشعبي في الإسلام

2- رفض ياكوب اتجاه الدراسات الشرقية في عصره، وألف في ذلك التعصب للكلاسيكية على نهج حفاري قبور الثقافة الألمانية

3- رواية عربي عن فولدا وشيلزفيج وزوست وبادرون ومدن ألمانية أخرى

4- العناصر الثقافية الشرقية في الغرب

5- تأثير الشرق على الغرب

6- دراسات للشعراء العرب و الحياة البدوية في ضوء الشعر الجاهلي

7- ألعاب الظل كتبه في تركيا (2)

قلت، إن ياكوب مستشرق اهتم بدراسة الفنون العربية والإسلامية، وغالب جهده كان منصبا على الشعر والشعراء حتى كون لغة عالية في هذا الباب، ويلاحظ في أكثر من مستشرق مكوثهم في تركيا، وعل السبب مكانة تركيا الحضارية والقوية في التأثير في العالم الإسلامي، ووجود حجم كبير من

(1) المرجع نفسه ص 43-45

(2) المصدر نفسه ص 47-51

المخطوطات النادرة في تركيا مما يسهل عليهم الحصول عليها ودراستها .

المستشرقة الألمانية أناميل شيميل:

تعتبر شيميل من أهم المستشرقين في العصر الحالي، وهي محل ثقة وإجماع في الشرق والغرب، كونت جيلا وأطرت الكثير من الباحثين،لم تكن تكتب للنخبة فقط، بل كانت تكتب ليقرؤها الكل دون تمييز، توزع اهتمام شيميل ليشمل كافة الفروع الإسلامية، فما اقتصر نشاطها فقط على التصوف، منذ وقت مبكر كما تخبرنا شيمل كان يبهرها الورع الصوفي، تعلمت شيميل الكثير من دروس الرومي واستحضرته كثيرا في لقاءاتها العلمية ومحاضراتها، وقد فتنت بصورة المسيح ومريم في التصوف الإسلامي

ألف ثابت عيد كتابين في اهتمام الغرب بتراث العرب: الأول: صورة الإسلام في التراث الغربي (دراسات ألمانية) الثاني: الإسلام في عيون السويسريين وأيضا كتاب أنا مري شيميل نموذج مشرق للاستشراق [1].

قلت، واضح الحب لمؤلفات شيميل لأنها في الحقيقة خدمة التصوف خدمة عظيمة، وهؤلاء فرحين بهذا الإنجاز مما دعاهم أن يحتفوا بها، وأن يوسموا عملها بأنه في خدمة الإسلام والإسلام منها ومنهم بريئ .

من مؤلفات شيميل:

تعد شيميل من أكثر من كتب عن الشرق الإسلامي لأكثر من مائة كتاب ومقال، ومن أشهر كتبها في هذا السياق:

1- الأبعاد الصوفية في الإسلام

2- الإسلام يسائل المسيحية في شؤون اللاهوت والفلسفة

3- وأن محمدا رسول الله

4- الشمس المنتصرة

5- الحلاج شهيد الحب الإلهي

6- المرأة في التصوف

7- جغرافية الشعراء .[2]

قلت، حظيت شيميل بإعجاب كبير من بعض الكتاب العرب، وذلك يرجع لاهتمامها الكبير بالتراث الصوفي، ومحاولتها في إظهار حبها للإسلام والمسلمين، وهو ليس كذلك وإنما للمتصوفة المنحرفون عن الحق المجانبون للصواب، فهي أعجبت بنتاج التصوف سواء الخطابي منه أم الشعري أم القصصي كما في عباداتهم المبتدعة التي نقلت في كتبهم، وترجمة عددا كبيرا من أشعارهم ومن أشعار محمد إقبال، وغيره .

الخاتمة

هذا التطواف السريع لجهود هؤلاء المستشرقين في دراسة التصوف ومدى تنوعهم في مداخلهم ومخارجهم، وإتيانهم بالجديد تألفيا وتحقيقا ونشرا وترجمة، يجعلنا نعرف مدى الخطر الداهم على الدين والمسلمين،ويحثنا للعمل لذا الدين والتفاني في خدمته بكل وسيلة وقوة، ولا يمل الإنسان ولايحق أي عمل يقدمه في خدمة الإسلام ورد الشبهات والمطاعن عنه والله غالب على أمره.

(1) المصدر نفسه ص 54-57

(2) المصدر نفسه 70-80

أبرز النتائج والتوصيات:

3- إن موقف المستشرقين من نشأة التصوف موقف خطير لما يريدون من خلاله إيهام المسلمين بأنه منذ بعث الرسالة لأجل أن يقر الناس بالتصوف

4- إن إشادة المستشرقين بالعقائد الصوفية ودعمها يدل دلالة واضحة على عمق العلاقة القوية بين الاستشراق والتصوف لتحقيق الغايات السيئة

5- حرص المستشرقين على النتاج البحثي الصوفي ومحاولة ترجمته لعدة لغات لنشر العقيدة الصوفية المنحرفة

6- تنوع اهتمام المستشرقين بالحركة الصوفية بحثا ونشرا ودعما

والتوصيات:

3- نوصي بالدراسة العميقة لاهتمام المستشرقين بالحركة الصوفية على كافة الأصعدة والمجالات

4- نقد شيوخ الحركة الصوفية يضعف من انتشار المذهب الصوفي

5- كتابة مجموعة أبحاث تتعلق بنقد النتاج الاستشراقي في باب التصوف

المراجع والمصادر:

1- القرآن الكريم

2- صحيح البخاري

3- صحيح مسلم

4- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبدالرحمن السعدي الرسالة الطبعة الأولى 1420 هـ

5- الاستشراق والتبشير محمد الجلیند دار قباء.

6- أجنحة المكر الثلاثة عبدالرحمن حبنكة دار القلم 1420 هـ

7- التصوف المنشأ والمصدر إحسان إلهي ظهير إدارة ترجمان السنة 1407هـ

8- رسالة في الصوفية والفقراء أحمد بن تيمية مجمع الملك فهد 1407هـ

9- آلام الحلاج للويس ماسنيون ترجمة الحسين الحلاج دار قدمس الطبعة الأولى 2004م

10- جامع البيان في تأويل آي القرآن ابن جرير الطبري الرسالة الأولى 1420هـ ت أحمد شاكر

11- التصوف الإسلامي لتور آند ريه ترجمة عدنان علي، منشورات الجمل الطبعة الثانية

12- تلبيس إبليس لابن الجوزي دار القلم

13- الأبعاد الصوفية في الإسلام لأنا ماري شيميل منشورات الجمل ترجمة محمد إسماعيل السيد ورضا قطب الطبعة الأولى
2006م

14- الصوفية في الإسلام لرينولد نيكلسون ترمة نور الدين شربيه المركز الأكاديمي للأبحاث الطبعة الأولى 2016م

15- التعرف لمذهب التصوف أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت ٣٨٠هـ)

16- http://www.saaid.net/Doat/saed/35.htm